

وكما ان هناك عوامل ادت الى ازدهار الزراعة في العالم الاسلامي خلال عهد الخلافة الاموية، فان هناك عوامل متنوعة دفعت العرب خلال هذه الفترة الى تنشيط فعاليتهم والبقاء على اهمية دورهم في عالم التجارة ومن بين هذه العوامل:

## ١-الموقع الجغرافي:

لقد تمتعت البلاد العربية بموقع جغرافي مهيمن، فقد ازدادت اهمية هذا الموقع ذا المواصفات المتنوعة فيما نجحت الجيوش العربية في تحرير وفتح الكثير من المناطق الشاسعة والمهمة التي كانت خاضعة لسيطرة الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية فصارت الدولة العربية ابان العصر الاموي ممتدة شرقا حتى نهر سيحون وجيجون بضمها بلاد السند والهند، وغربا في المغرب العربي والاندلس، لهذا غدت مهيمنة على البحر الاحمر والبحر الابيض وبحر العرب والمحيط الهندي والخليج العربي، وهي بحار ومحيطات استقطبت جميع الخطوط الملاحية التجارية البحرية التي كانت تربط الشرق بالغرب علاوة على هيمنتها على الطرق البرية الممتدة عبر الجزيرة العربية والجزيرة الفراتية والعراق وبلاد فارس الى مصر والمغرب العربي.

## ٢-انتعاش نشاط الطرق البحرية والنهرية والبرية

لقد انتعشت الطرق البحرية والنهرية والبرية في الدولة الاموية الواسعة الارجاء، وقد ظهر هذا الانتعاش والنشاط نتيجة الى زيادة الطلب على الواردات والى تبادل السلع والتجارة بعد استقرار عمليات التحرير والفتوحات العربية الاسلامية وتأسيس الامصار والمدن فنشطت انماط انتاجية غير زراعية في هذه المراكز الحضرية التي جذبت بدورها الطرق التجارية البرية والنهرية والبحرية كالبصرة والكوفة وواسط والموصل ودمشق وحلب والفسطاط والقبروان وتونس وموانئ اليمن وموانئ مكة المكرمة وموانئ البحرين وعمان وموانئ الساحل الشرقي من الخليج العربي.

وبالرغم من الحقيقة بان النشاط التجاري خلال المرحلة التي انشغل فيها العرب المسلمون بالفتوحات الاسلامية لم تكن مزدهرة بشكل واضح علاوة على الاهتمام المتزايد الذي ابداه المسؤولون في البلاد العربية لتنمية الموارد الزراعية والاهتمام بتحسين وتطوير مشاريع الري وعلى الرغم من ان الامصار التي تأسست انذاك خلال العصر الراشدي وبداية الخلافة الاموية لم تكن انذاك امصارا قد نمت وتطورت لتصبح مراكز تجارية نجد انها بمرور الزمن، وربما عندما افلح الخلفاء الامويون في السيطرة على المشاكل السياسية ابان عصر الخليفة عبد الملك بن مروان وعندما ابدى هذا الخليفة اهتماما ملحوظا بالشؤون المالية كتعريب النقود وسكها مثلا انصرفت الجهود نحو النشاطات التجارية.

ومع ان المصادر التي بين ايدينا لم تقدم غير معلومات قليلة حول واقع النشاط التجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي، الذي ربما كان منكشفا حتى منتصف القرن الاول للهجرة لكن دون شك فان الطرق البحرية عبر البحر الاحمر والبحر المتوسط، كذلك الطرق البرية من اليمن عبر مكة وبلاد الشام ثم موانئ البحر المتوسط وكذلك طرق الحجيج عبر البصرة والكوفة الى مكة والطرق البرية عبر الساحل الافريقي الشمالي (المغرب العربي) كانت اكثر فعالية وحيوية في نقل البضائع المختلفة.

## ٣-التطور الاقتصادي للمجتمع العربي:

وكما المحنا سابقا فان توجه الخلفاء الامويون وعمالهم واخرين غيرهم باستصلاح الأراضي وتحويلها من اراض موات الى اراضي زراعية مثمرة وتزايد اهتمامهم بالاراضي الزراعية كان واضحا اثناء عمليات التحرير والفتوح وبعدها. غير ان نشوء الامصار التي توافد الناس عربا وغير عرب الى الاستقرار فيها ادى الى الانخراط في تلبية الشؤون اليومية الحياتية القائمة على السوق وتبادل البضائع وتصنيع ما يحتاج اليه من صناعات يدوية ضرورية كل هذه المتغيرات جعلت الحاجة ماسة الى سد الاحتياجات اليومية الاساسية من ماكل وملبس وهذه لم تتحقق طبعاً في هذا المصر لوحدة او ذلك كما استوجب استيرادها او جلبها من المراكز والامصار التي تنتجها.

## الخراج:

وهي ضريبة فرضتها الدولة العربية على الارض التي حررها الجيش العربي، وكانت تفرض عادة على وحدة المساحة من الاراضي المزروعة والقابلة للزراعة

وعندما جاء الخلفاء الامويون جمعوا الخراج بموجب النظام الذي وضعه الخليفة عمر ابن الخطاب(رض) وقد اشار الماوردي الى ذلك فقال ان الحجاج كتب الى عبد الملك ابن مروان يستاذنه في اخذ الفضل من اموال السواد فمنعه من ذلك وكتب اليه: لا تكن على درهمك الماخوذ احرص منك على درهمك المتروك وابق لهم لحوماً يعقدون بها شحوماً الا ان اقبال العرب المسلمين على شراء الاراضي الخراجية من اصحابها الذميين واقطاع الخلفاء الامويين بعض الاشخاص اراضي في العراق، وانتشار الاسلام بين المزارعين والفلاحين وهجرتهم الى المدن ادى الى تحول هذه الاراضي من خراجية الى عشرية، ومن ثم تقلص ارض الخراج في العراق ونقصان وارد الدولة لان ما يأتي من ضريبة الخراج هو عماد خزينة الدولة انذاك، فلما شعر عمال الخراج بذلك كتبوا الى الحجاج بن يوسف الثقفي امير العراق بان الخراج قد انكسروا ان اهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار

وبما ان الدولة العربية كانت بحاجة الى الاموال وذلك للاستمرار في حركات التحرير العربية في جهة واسعة، والانفاق على الخدمات المختلفة، فقد حاول الحجاج معالجة العجز المالي في الخزينة، حيث امر ان ترجع الاراضي العشرية التي كانت بالاصل خراجية الى الخراج، واعادة من هاجر من المزارعين والفلاحين من قراهم الى المدن وكان هدفه من ذلك هو اعمار الارض وزراعتها وبالتالي زيادة موارد الدولة

الفئى والغنائم:

الفئى: هو المال الذي نالة المسلمون بدون قتال(اي ما صولحوا عليه) وكان الفئى يشكل اهم موارد الدولة العربية المالية في العصر الاموي. فان المقاطعات والمدن التي تم فتحها من قبل الجيش العربي بدون قتال او مقاومة كانت تعامل معاملة خاصة. فقد فرضت عليها الدولة العربية مقدار معين من المال اتفق عليه الطرفان، ولا بد انه كان يتناسب مع ظروف فتح الاقليم او المدينة والاحوال المحيطة بهما وقد تحدثت المصادر عن مقدار ما فرض على بعض الاقاليم والمدن التي فتحت صلحاً سوف نذكر البعض منها فقد تقرر على رامهرمز ثمانمائة الف درهم وعلى سجستان الف الف درهم والفى وصيف وعلى مرو الفى الف ومائتي الف درهم ومرو الروزستون الف درهم وبلغ اربعمائة الف درهم وكان صلح افریقیة(تونس) الفى الف وخمسائة الف دينار وفي سنة ٩٣هـ / ٧١١م صالح قتيبة بن مسلم الباهلي ملك خوارزم على عشرة الاف راس وعين ومتاع وفي هذه السنة صالح قتيبة اهل سمرقند على مليونين ومئتي الف درهم في كل عام وفي سنة ٩٧هـ / ١١٥م صالح يزيد بن المهلب بن ابي صفرة اهل البحيرة على مئة الف درهم في السنة كما صالح اهل طبرستان على سبع مئة الف درهم وهناك عدد من المدن والاقاليم تم الصلح معها الا ان المصادر لا تحدثنا عن مقدار المبالغ التي صولح عليها أهلها

اما الغنيمية: فهي ما وصل الى المسلمين من اموال عن طريق القتال وكانت تقسم خمسة اقسام متساوية، خمس يكون وارد لخزينة الدولة العربية، اما الاربعة الاقسام الاخيرة الباقية فيقوم قادة الجيش بتوزيعه على المقاتلة بالتساوي بعد انتهاء المعارك عادة وذلك عملا بالاية الكريمة واعملوا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير

المصدر: عبد القادر أفندي بدران، مختصر تاريخ دمشق.